شمولية الثورة الحسينية



من أهم سمات النهضة الحسينية وعوامل انتصارها هو أنسها لم تكن محدودة الأهداف أو مقتصرة على فئة معيسنة؛ فقد جاءت لتعلن انتصارها للإنسانية المسلوبة وإرجاع الحقوق الضائعة جر"اء التمييز والطبقية؛ فجيش الإمام الحسين (عليه السلام) رغم قلسّته فقد تجسسّدت فيه الإنسانية والعالمية. وتمثسّلت عالمية الثورة الحسينية من خلال تأثسر الكثير بهذه الثورة، بل من غير المسلمين من أهل الديانات الأُخرى في العالم، والشاهد على ذلك المقالات والأقوال الكثيرة. كما أن عالميتها واضحة من جانب آخر، ألا وهو عالمية الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي محمسّد (صلى الصلى عليه وآله وسلم)، وبالتالي عالمية رسالة الأئمسّة (عليهم السلام)، ومنهم الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لذا فإن م من يريد اختزال القضية الحسينية وحصرها بشعب معيسّن، أو طائفة معيسّنة، فهو مخطئ، يحتاج إلى إعادة النظر في كل منظومته المعرفية.

فالقضية الحسينية انطلقت وفق أهداف إنسانية بحتة، هدفها تحرير الإنسانية جمعاء بما تحمله من أهداف وقيم وتضحيات ونماذج مشر ِّفة، فهي قضية عام ّة لكل ّ بني الإنسان لا تختص ّ بفئة معي ّنة من الناس، ولا بمكان معي ّن من الأرض، وهذا الأمر يت ّضح عبر شعارات النهضة، وأقوال قائدها: «ألا وإن ّالدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلاّة والذلاّة، وهيهات مناً الذلاّة، يأبى ا النا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور ُ طابت وطهرت، وأنوف ُ حمي ّة، ونفوس ُ أبي ّة من أن ن ُؤثر طاعة اللئام على ممارع الكرام، ألا وإن ّي زاحف بهذه الأ ُسرة على قلاّة العدد، وخذلان الناصر». وقوله (عليه السلام): «وا ان «وا أرى الموت إ ّلا سعادة، والحياة مع الظالمين إ ّلا برما ً ». وكذلك قوله (عليه السلام): «وا الله المائم بيدي إعطاء الذليل، ولا أ ُقر ً لكم إقرار العبيد». وكلاّها مبادئ وشعارات يتمس لله بها جميع الأحرار والثوار أ ُسوة بالإمام الحسين (عليه السلام).

لا يخفى أن واقعة عاشوراء وما جرى فيها من أحداث مأساوية هز ّت الضمير الإنساني، إلى جانب القيم المعنوية الراقية والمفاهيم الإسلامية التي جس ّت فيها. مث ّلت عاشوراء مدرسة من العطاء الفكري والمعنوي والقيمي لا حدود له، كما أن ّ السمو المعنوي لعاشوراء الحسين (عليه السلام)، وتنو ّع عناصرها المعرفية لا زال يدهش كل ّ م َن يسمعه ويأخذ بمجامع قلبه ولا يملك معه السامع إ ّلا أن يكون بكلّه آذانا ً صاغية، فهيّاًت هذه الثنائية _ وفرة العطاء الفكري والمعنوي لعاشوراء واندفاع السامع وإصغائه لكلّ ما يرتبط بها _ لظهور أنجح عملية دعوية وأفضل ممارسة تبليغية في تاريخ البشرية تفتقر إليها الثقافات والأديان الأُخرى، واعترف بنجاحها كثير من العلماء والمفكرين من غير المسلمين، واستطاعت على مرّ التاريخ أن تحفظ لنا خط أهل البيت (عليهم السلام) _ الذي هو جوهر الإسلام وروحه _ من التحريف رغم ما تعرّض له من محن وشدائد. إنّ الانتصار الذي حققه الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ليس انتصارا ً عسكريا ً، فالغلبة كانت للجهاز الحاكم، حيث است ُشهد الإمام وأهل بيته وأصحابه، كما هو واضح، ولكن الجميع يتفق على انتصار الحسين (عليه السلام)، من المسلمين وغير المسلمين، حتى س مُ ي َ هذا اليوم بأسماء متعد ّدة، قبيل: (يوم انتصار الدم على السيف) و(يوم انتصار المظلوم على الظالم) و(يوم انتصار مشروع ألأ ُمه على مشروع السلطة) إلى غيرها من التسميات والتعابير التي تؤكد هذه الحقيقة.